# خلفيات نجاح نتنياهو وتقدم اليمين في إسرائيل

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

**لقد فعلها أمس بنيامين نتنياهو، بأكثر مما توقع موالوه أو توقع هو نفسه. فقبل أسبوعين فقط، من موعد مثوله أمام القضاء لمواجهة لائحة اتهام بخيانته الأمانة؛ تمكن من الاستحواذ على تفويض شعبي، معناه الموضوعي، أن جزءا كبيرا من الرأي العام الإسرائيلي، لم تزعجه لائحة الاتهام الثلاثية، وحتى إن اعتقد هذا الجزء، بأن الرجل اقترف أفعال فساد، فإن هذه الأفعال ليست كافية لإنهاء الحياة السياسية لزعيم له هذه المكانة النافذة.**

> **تحقق لإسرائيل كثير من الإنجازات في فترة حكم نتنياهو، أهمها الاختراقات الدبلوماسية في الإقليم، والتعاقدات الاقتصادية والتقنية، والتفاهمات الأمنية التي أنجزت خلال السنوات العشر الماضية**

ولعل أشد تعليلات هذا المنحى عمومية، أن الجمهور الإسرائيلي لا يزال ينزاح أكثر فأكثر إلى أقصى اليمين، وليس ذلك بتأثير خطاب عاطفي، وإنما بفعل ما يراه المحصّلة الحقيقية لحسابات مصالح الدولة. فلا يختلف اثنان، في معسكر اليمين، وربما في جزء معتبر من يمين الوسط، على أن إسرائيل، باتت في وضع أفضل بكثير، مما كانت عليه قبل استعادته السلطة عام 2009، أي بعد أن جربت إطاحته عام 1999 وأتاحت لمنافسه الجنرال إيهود باراك، تسلم مقاليد الحكم، لكن هذا الأخير لم يكمل السنتين في منصبه، إذ أسقطه اليمين المتطرف برئاسة أرييل شارون، بعد فشل مؤتمر كامب ديفيد لتسوية القضية الفلسطينية في صيف العام 2000.

لقد برع نتنياهو في دغدغة عواطف الجمهور الإسرائيلي، واعتبره الكثيرون ساحرا يعرف كيف ينجو ويستمر، وبالنتيجة، فهو حتى الآن سجل رقما قياسيا في عدد السنوات التي تقلد فيها أي رئيس حكومة منصبه، بمن في هؤلاء ديفيد بن غوريون مؤسس الدولة (14 عاما منها 11 عاما متصلة).

لقد كانت لإنجازه الانتخابي أمس، أهمية استثنائية، لأنه، بخلاف محاكمته المنتظرة في اتهامات بخيانة الأمانة والرشوة والاحتيال، تعرض لحملة إعلامية شارك فيها مسؤولون أمنيون سابقون، ورؤساء أركان وضباط رفيعو الرتب ودبلوماسيون سابقون، اجتمعوا على رأي يقول إن إعادة انتخاب نتنياهو، من شأنها تعريض الديمقراطية في إسرائيل إلى خطر محقق.

وفي الواقع ليس هناك في إسرائيل الآن، أبرع من نتنياهو في مخاطبة الجمهور ذي المزاج اليميني والمتحسس أبدا للخطر الوجودي ويبالغ فيه إلى حد الأوهام. وليس هناك من يجيد خوض اللعبة الانتخابية أكثر من نتنياهو الذي صنع لنفسه كاريزما استثنائية، وامتلك القدرة على التحدث باللسان وحركة الجسد ونظرات العينين ونبرات الصوت. وفي هذا كله يعرف كيف يختار مفاتيح الضغط الفعالة، من شاكلة الفخر اليهودي، والتاريخ وآلية الوجود والنجاة، وجدّه الحاخام ووالده البروفيسور في الرواية اليهودية، وشقيقه الأكبر الذي قضى دفاعا عن إسرائيل. فلو امتلك غيره مثل هذه المفاتيح، فلن يستطيع استخدامها بشكل أبرع ممّا يستطيع نتنياهو. فهو رجل ديماغوجي من الطراز الأول.

تحققت لإسرائيل الكثير من الإنجازات في فترة حكم نتنياهو الطويلة، لعل أهمها الاختراقات الدبلوماسية في الإقليم، والتعاقدات الاقتصادية والتقنية، والتفاهمات الأمنية، سرا وعلانية، التي حدثت خلال السنوات العشر الماضية، دون أن تكلف إسرائيل شيئا في السياسة أو تتراجع عن ممارسة واحدة من ممارساتها اليومية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومن بين أهم ما يندرج في قائمة هذه الاختراقات، العلاقات مع دول عربية وإسلامية، وقد ركز على هذه النقطة، باعتبارها إنجازا بالغ الأهمية، وفي خلفية هذه الاختراقات، كما أشار، إسهامه في صنع الحدث الذي أدى إلى الإعلان عن "صفقة القرن" وفي مضمونها وعد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بتأييد ضم الأراضي الفلسطينية. لذا اتسم خطابه في مقر حزب الليكود أمس، بنكهة الانتصار الذي جاء في محصلة كل ما حققه في السنوات الأخيرة وعبرت عنه النتائج كما سجلتها "نتائج الخروج" من مراكز الاقتراع.

ولعل من المفارقات اللافتة، التي تنم عن ذكاء انتخابي، أن نتنياهو تعمد إظهار الاعتراف بالفضل في ما حققه في انتخابات الأمس، لجدعون سار الذي نافسه على قيادة الليكود في شهر ديسمبر الماضي. فقد استغل سار مأزق نتنياهو مع الشرطة والمدعي العام القضائي، وحاول ركوب موجة التطهر والإصلاح السلوكي، ما جعل نتنياهو يضطر إلى الخروج للشارع ويجوب كل نواحي الدولة من الشمال إلى الجنوب، لعقد اجتماعات مع منتسبي الليكود في كل مراكزهم، ويتعرف شخصيا على المزيد من هؤلاء ويحادثهم ويتودد إليهم ويعرض روايته. وكانت نتيجة ذلك الجهد، أن حقق في الانتخابات التمهيدية على مستوى الليكود، فوزا ساحقا، واستعاد صلاته بقاعدة التكتل، بعد أن كان قد أهملها قبل انتخابات الكنيست في سبتمبر. فقبل تلك الانتخابات، لم يخرج إلى الشارع إلا نادرا، واعتمد على وسائل التواصل ومخاطبة الناس من مكتبه، وليس الذهاب إليهم في مراكزهم.

في الفترة الأخيرة، نشط نتنياهو على صعيد الاجتماعات الحاشدة، وكان يركز على ضرورة إقبال الجمهور على صناديق الاقتراع، لذا كانت نسبة الإقبال قد زادت أمس عن نسبتها في الانتخابات السابقة وبلغت 71 في المئة. ولم يُظهر منافسه، بيني غانتس، الذي يصغره بعشر سنوات مثل هذه القدرة على الحركة، مع فارق أن الأول قد تأسست له شعبية حزبية تواليه شخصيا، بحكم طول مدة العمل على المسرح السياسي، بينما غانتس ليست له مثل هذه الميزة، وإن كان هو وقادة حزبه، أدركوا في الساعات الأخيرة أهمية الإقبال بكثافة على الصناديق، وذهب هو والثاني بعده في ترتيب القيادة، يائير لابيد، إلى شوارع تل أبيب مع مكبرات الصوت يطلبان من الناس التصويت، بينما توجه جابي أشكنازي وموشيه يعلون إلى معاقل الحزب لحث الناخبين. ومع ظهور نتائج الخروج، تعمد أن يقول لجمهور "أبيض أزرق" أمس إنه ماضٍ معهم والطريق طويل وحتى لو حدَثت خيبة أمل فإن الحزب الجديد لن يتفكك.

وحتى كتابة هذه السطور، لم يحصل الليكود على الـ61 مقعدا التي تتيح له تشكيل حكومة يمين صرفة بقاعدة برلمانية ضيقة. وفي حال عدم الحصول على هذا العدد، سيراهن على انتقال عضو أصابه اليأس فيتحول من "أبيض أزرق" إلى الليكود، أو عضو آخر من "إسرائيل بيتنا" الذي يقوده أفيغدور ليبرمان الذي تراجعت نتائجه وأهميته. وبسبب تخوفه من عدم القدرة على تشكيل حكومة دعا نتنياهو إلى ائتلاف وتشكيل حكومة وحدة، وقال إن الجمهور سئم الانتخابات وعبر عن قناعته بأنه الأجدر بترؤس الحكومة وبمقعد السائق.

أما قراءة النتائج على الجانب الفلسطيني، فإن خير من عبر عنها هم الناشطون الفلسطينيون في إسرائيل، الذين دعوا إلى وقفة موضوعية فلسطينية مع الذات، وإلى ضرورة أن تعترف القيادة الفلسطينية بفشلها في تحديات الوحدة وإنهاء الانقسام وتحديات الديمقراطية. وركزوا على نقطة في غاية الأهمية، وهي أن قيادة محمود عباس، ومن يوالونها، ينظرون إلى مستقبلهم من خلال تطورات الساحة السياسية الإسرائيلية، وليس من خلال ساحتهم التي تستحق الالتفات إليها لمعالجة عوارها. وقال أحد هؤلاء إن كاميرات التلفزة الفلسطينية توجه كل عدساتها إلى الخارطة الحزبية الإسرائيلية، ولا توجه كاميرا واحدة لرصد المشهد الفلسطيني والاعتراف بخوائه السياسي، ولا تحمل ساعات البث الفلسطيني ولا تحتمل، رأيا واحدا نقديا للموقف الرسمي الفلسطيني. بل إن ما يسمى بـ"لجنة التواصل الفلسطينية مع المجتمع الإسرائيلي" لم تحصد سوى الخيبة، رغم ما صُرف عليها من أموال الفلسطينيين. أما الفلسطينيون في أراضي 1948 فقد حققوا من خلال قائمتهم المشتركة أقصى ما يتاح لهم تحقيقه، وبات على فلسطينيي المناطق المحتلة عام 1967 أن يؤدّوا أبسط واجباتهم وهو وحدتهم ورسم إستراتيجية وطنية واحدة لمواجهة ما ينتظرهم من تحديات.

# سلطة الوحل إذ تغرق بما صنعت

علي الصراف
كاتب عراقي

**إذا قستَ قرار حكومة محمد أشتية بمقاطعة إسرائيل اقتصاديا، على كل "صناعة القرار" الفلسطيني، فلسوف تعرف كيف تحول الكلام الفارغ إلى سلعة الاستهلاك الوحيدة التي تملكها السلطة الفلسطينية.**

سلطة لا تملك السيطرة على حدودها أصلا، تريد أن تستورد النفط من العراق وتريد أن تقاطع العجول الإسرائيلية، ولا تعرف إلى أين تذهب بالمواد الزراعية التي ينتجها الفلسطينيون. هذا هو الحال، إنه المأساة بعينها.

القرار غير المدروس، لا ينم عن عشوائية سياسية فحسب. إنه ينم عن عشوائية ذهنية أكبر؛ عشوائية سيطر عليها تصور الكلام الفارغ على أنه فعل مؤثر. سلطة شعار لا سلطة فكر. سلطة حكي لا سلطة حساب. لا زائد ولا ناقص. لا ضرب ولا قسمة بين حقائق وأرقام. فقط حكي. "طق حنك"، "ثوري" طبعا.

وللأمانة، فإن "طق الحنك" الثوري، الخارج عن مقاييس الحساب، لا يزال يبيع. وهذه ليست مصيبة الفلسطينيين وحدهم. إنها مصيبة العرب أجمعين. فالكلام الفارغ بيّاع إلى يومنا هذا. يُغري أهل العواطف الجياشة، فيدفعهم إلى جهنم، أو بئس المصير على الأقل. وهذا ما كان. وما ظل يكون، إلى أن نتعلم الزائد والناقص في لعبة الحساب الجاري لمعادلات الاقتصاد والسياسة.

ذهب الرئيس محمود عباس إلى مجلس الأمن لكي يحتج على "صفقة القرن"، وقدم خطابا مؤثرا، أكد فيه التزامه والتزام سلطته بكل العهود والوعود التي تم قطعها في أوسلو. بما في ذلك طبعا محاربة الإرهاب، وليس فقط عدم التورط فيه. فعاد بخفي حنين.

هل كان عباس لا يعرف ماذا سوف يحصل؟ في الحقيقة نعم. لم يكن يعرف. ذهب إلى العواهن على العواهن، ليخبط الخبطة. فكانت خبط عشواء حقيقية. شيء يشبه مقاطعة محمد أشتية الاقتصادية. كيف وصلنا إلى هنا؟

على مر ثلاثة عقود من الزمن، ظلت السلطة الفلسطينية ترى التمدد الإسرائيلي في أراضي أوسلو الفلسطينية ولم تفعل شيئا. ولا هي حسبت الحساب لما سيأتي من بعدها.

هل كانت لا تعرف طبيعة المشروع الاستيطاني الإسرائيلي؟ هل لم تقرأ التطلعات الإسرائيلية؟ في الواقع لم تعرف ولم تقرأ. لقد راهنت على سلطة الكلام؛ على سلطة الاحتجاج والتنديد. أما تحت السطح فقد ظل التنسيق الأمني قائما، حتى أصبحت السلطة الفلسطينية من ناحية حساب الواقع، جزءا من جهاز المخابرات الإسرائيلي. تخدمه وتمتثل لمتطلباته الأمنية، بينما يُغريها الأمل، بأن يأخذ بإسرائيل العطفُ لكي تمنح الفلسطينيين دولة، حتى ولو كانت على أشد تبعية ممكنة.

ويوم انتهى المشروع الاستيطاني الإسرائيلي إلى أن مزق مشروع الدولة، أو وهمها، وحوّل التجمعات الفلسطينية إلى كانتونات مغلقة والأرض إلى "جبنة سويسرية"، جاء التهديد بوقف "التنسيق الأمني"، ولكنه ظل جزءا من بضاعة الكلام الفارغ. جاءت مديرة وكالة المخابرات المركزية إلى السلطة، لكي تصفع من شاءت بالحقيقة البسيطة، وهي أن السلطة الفلسطينية ليست سوى جزء من جهاز المخابرات الإسرائيلي. بما في ذلك رواتب النخبة الأمنية التي تعتمد عليها السلطة في حماية نفسها. فتوقف الحكي عن الحكي وغلبت الحقائق على "طق الحنك".

لا يوجد مشروع وطني فلسطيني. وهذه السلطة لم تعد تمثله أصلا. إنها سلطة تعرّت من كل قدرة على خدمة هذا المشروع. ولكي لا يُساء الفهم، فإنها -نعم- وريثة مناضلين وشهداء مخلصين؛ وريثة مشروع تحرر. إلا أنها خذلته في النهاية فعجزت عن خدمته.

يمتلك الرئيس عباس، وحفنة ممن حوله، شرعية نضالية تستحق التقدير. إلا أنها شرعية ظل المرء يأكل منها حتى بادت وأغبرت. ليس في ذلك تخوين ولا تجريم. هذا غير ضروري أصلا. ولكنه عجز وفشل. سوء حساب وتقدير كانا من ثمرات نقص القدرة على قراءة الزائد والناقص، وعلى التعامل معه بفاعلية.

لقد وجدت سلطة منظمة التحرير الفلسطينية نفسها، "فتح" على وجه أخص، حيال وضع لم تقرأه جيدا. ولا هي استدركت. ولا كانت قادرة على حسبان الحساب لما سيأتي. فلمّا أخذتها العزة بالإثم، آثرت أن تراهن على الأماني الفارغة، حتى اتضح أنها فارغة بالفعل.

"صفقة القرن" مسار. إنها ليست قرارا اتخذه رئيس لا يعرف من تاريخ الصراع شيئا. دونالد ترامب، قرأ الواقع فقط. أو ما انتهى إليه، فحوّله إلى "صفقة". عندما يكون الأمر مسارا، أفلا تسأل نفسك، كيف تركته يمضي؟ أفليس من المسؤولية الثورية أن تقف في وجهه وتقلب الطاولة عليه وعلى "أبو الذين خلّفوه"، منذ البدء؟ ألم تكن هذه هي المسؤولية؟ أم أن "السلطة" هي الإغراء؟

> **«سلطة الشعار» أصبحت في حد ذاتها مصدرا كافيا للشرعية. وما كان ذلك إلا معادلة خسران متواصلة. تراها إسرائيل بوضوح وتبني عليها مستوطنات أخرى وأخرى**

من هذه السلطة بدأ الضياع. ومنها بدأت الصفقة، حيث لم يعد أمام سلطة الكلام أكثر من الكلام عن سلام يتم تدميره على أرض الواقع، يوما بعد آخر.

فإذا لم يمكن لانتفاضتين فلسطينيتين أن تسمحا بتحسين الأداء السياسي تجاه المشروع الاستيطاني الإسرائيلي، فما الذي يمكنه أن يفعل؟ أهي مسؤولية "الأطماع الصهيونية" وحدها؟ أم أنها مسؤوليتك حيالها؟

ما هي المشكلة في "الأطماع الصهيونية"؟ المشكلة هي أنت عندما لا تعرف ماذا تفعل حيالها. هناك "أطماع صهيونية" في الهند، فلماذا لا تكون لك أطماعك في يافا وحيفا وتل أبيب؟

الأجوبة السلبية على هذه الأسئلة قد تكشف الكثير من أوجه الفشل، إلا أنها تعني في النهاية أن السلطة الفلسطينية حين وجدت نفسها في الوحل، فقد آثرت أن تمضي فيه قدما. يقول المسؤولون الفلسطينيون إنهم لا يريدون حلّ السلطة لأنها "مكسب وطني". مكسب لمن؟ الشعب الفلسطيني لم ير من هذا "المكسب" إلا ضياع أرضه وضياع الأمل.

والأمر لم يتم طرحه بوصفه خيارا حقيقيا، وإنما بوصفه تهديدا أعرج فحسب. أي بوصفه جزءا من سلطة الكلام الفارغ على الذين ما فتئوا يقعون ضحية له. وفي النهاية، لا التنسيق الأمني توقف، ولا تم حل السلطة.

حتى اللجوء إلى محكمة الجنايات الدولية، بوصفه تهديدا آخر، يتعثر. وكأن أصحاب هذا التهديد لا يعرفون أشكال الابتزاز والتهديد الحقيقي الذي سوف تلجأ إليه إسرائيل لمنع مقاضاتها.

سلطة حماس في غزة، ارتكبت ما هو أسوأ عندما وجهت سلاح مقاومتها المزيفة إلى صدور الفلسطينيين أنفسهم.

ثم تحوّل كلٌ من السلطتين إلى قوة طاردة للمناضلين، وقوة تجريم وتخوين لكل من يمكنه أن يتخذ موقفا نقديا منهما. وأصبح التفكير بخيارات وطنية تتجاوز الكلام الفارغ، كفرا.

سلطتان، صار الشعب الفلسطيني يهرب منهما ليبحث شبابه عن لجوء في أوروبا. ذلك الشباب الذي كان يوما يجلس "ركبة ونص" مع الـ"آر.بي.جي"، في مقابل الدبابات الإسرائيلية.

"حماس" تمسكت بشعار المقاومة، ولم تقاوم إلا الأحرار من أبناء الشعب الفلسطيني الذين حكمتهم بالقهر. وباعت قرارها الوطني لمن يدفع أكثر. ولم يكن قرارها وطنيا على الإطلاق. كان قرارا حزبيا فحسب، يغطيه الكثير من الزيف والدجل. وانتهى الانقسام الفلسطيني إلى سبب آخر للقول إن الفلسطينيين لا يستطيعون إدارة دولة. وكلا السلطتين لم تنشئ مؤسسات تقترب من المعايير الدولية المطلوبة لتوفير الاحترام. ولا هي احترمت الشعب الذي تحكمه. ذلك أن "سلطة الشعار" أصبحت بحد ذاتها مصدرا كافيا للشرعية. وما كان ذلك إلا معادلة خسران متواصلة. تراها إسرائيل بوضوح وتبني عليها مستوطنات أخرى.

للخروج من مستنقع الوحل الراهن، مطلوب استراتيجية فلسطينية جديدة، كما هو مطلوب قيادة جديدة لها. هناك شيء حقيقي ظل غائبا عن سلطة الكلام: الشعب الفلسطيني في الأرض والداخل والشتات معا. هذا هو أصل القوة الأول. فخذوا السلطة ودعوا الثورة للناس.

بعيدا عن هذه السلطة التي أعجزت نفسها بنفسها، فإن منظمة التحرير الفلسطينية يمكنها أن تُستأنف ويُعاد بناؤها. ويمكن للفلسطينيين أن يبتدعوا من أشكال المقاومة ضد الاحتلال ما يبتدعوا. وكل الخيارات يجب أن تكون مفتوحة. ولا شيء يُستبعد منها، لكي لا تسطو مفاهيم على مفاهيم مسبقا.

يمكن لسلطة "المكسب" أن تحارب الناس لو شاءت. وهو ما تفعله على أي حال. لا توجد مشكلة. سلطة كسلطة الجنرال فيشي، لن تؤثر كثيرا في قدرة الفلسطينيين على المقاومة.

منظمة التحرير التي تحولت إلى سلطة، هي التي يجب أن تخرج من السلطة، لتعود إلى الثورة، ولتعود الثورة إلى شعبها، ولتتحرر من كل قيود أوسلو، بل ومن كل قيود مسبقة أخرى.

المسدس الذي طرد الاحتلال الإسرائيلي من بيروت يمكنه أن يطرد الاحتلال من فلسطين. 5 ملايين فلسطيني لن يعجزوا عن تحويل حياة الاحتلال إلى جحيم. إسرائيل ليست دولة عظمى. إنها دولة هشة. دولة فوضى وشعب ممزق، رغم كل ما قد يبدو من قوتها العسكرية. وثمة أشكال لا تحصى للمقاومة. كل ضرر مقاومة. هذا هو الأساس. كان يحسن بالسلطة أن تسأل نفسها: إذا لم تكن قادرا على إلحاق الضرر بالاحتلال فبأي معنى تريده أن ينسحب؟

ساعة تفهم إسرائيل أن الفلسطينيين قادرون على تحرير أرضهم، وعلى إلحاق الضرر باستقرارها ووجودها نفسه، لن تبقى مستوطنات، ولن تكون الدولة الفلسطينية "جبنة سويسرية" كما تقترح صفقة الواقع الذي صنعته سلطة الوحل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني
مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي
تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778
للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk